

منه جزء صغير للمصلحة العامة لان الحكومة وهي تجبي الضريبة من الفقير باليد الواحدة يجب ان تحسن عليه من اليد الاخرى

« فمن اجماع الاقتصاديين على اعفاء الدخل الذي لا يكاد يفي بضروريات المعيشة من الضريبة لاسباب اقتصادية قد نشأت مسألة مهمة من المسائل العمرانية الحيوية في العالم المالي وهي : كيف تضرب الضريبة على الدخل الذي يزيد على حاجة صاحبه الضرورية ويمكنه ان يبذر منه او ان يوفره ؟ اتؤخذ الجزية منه على معدل واحد بلا فرق بين وفرة وفقره ام على معدلات متفاوتة بالقيمة بحسب تزايدها ؟ - « اي كلما زاد الدخل زاد معدل الجزية المتوي المأخوذ منه كأن يؤخذ من كل من المئات الاولى واحد مثلاً ومن كل مئة من عشرات المئات اثنان ومن كل مئة من مئات المئات ثلاثة وهلم جرا » (سنأتي البقية)

انشاء الروايات العربية

معاني رواية ابن الشعب

١

كثرت في السنوات الاخيرة وضع القصص العربية فقلما يمر شهر الا وتصدر بضع منها في البلاد التي فيها مطابع عربية . وهم يسمونها « روايات » وهذا خطأ في التسمية لان « الروايات » في اللغة الاحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان عن فلان . فيلزم ان يكون هناك راوٍ ومروي عنه وحديث مروي . فاسمها الحقيقي اذا « قصة » لانها عبارة عن احاديث ووقائع يتخيلها المؤلف ويقصها على قرائه . ولكن هذا الخطأ - اذا كان هناك خطأ - كان الاصمعي المشهور اول من وقع فيه في قصة عنتره . فانه يقول هناك في كل صفحة تقريباً « قال الراوي » وقصة عنتره اكثرها اختراع وابتداع كما هو معلوم . والخطأ او الاصطلاح الذي يميزه رجل كالاصمعي يجوز ان يُعد من الصواب المقبول * ما يلزم الرواية * على انه لو لم يكن في الروايات التي تنشر في اللغة العربية غير هذا الخطأ الاصطلاحي الصغير لكان الخطب هيناً . ولكن هناك مأخذ لا يصح السكوت

عنها وقد كثر انتشارها . فان كل من امسك قلماً في هذه الايام يرى نفسه قادراً على وضع رواية لان كل انسان يقدر على قص قصة وسرد حوادث بتصورها . وجميعهم يعلمون ان فن الروايات « علم باصول » ولكنهم يجرون مع هذا على وضع هذه الروايات لثلاثة اسباب . الاول انعدام حرية النقد او بعبارة اخرى الجهل بحقيقة هذا الفن . للاقدام على نقده . والثاني اعتبار القراء في الشرق الرواية عالماً خيالياً يلغى به ساعة او نصف ساعة فلا يطلبون فيه غير قطع الوقت . والثالث قلة القراء في اللغة العربية فالروايات التي تظهر فيها لا يستفيد منها مؤلفوها فائدة حقيقية الا اذا كانوا اصحاب مكاتب ومطابع صناعتهم التجارة بالكتب . ولذلك قلما ترى كاتباً يجهد قريحته ويكد فكره وينضج رأيه في وضع رواية مهمة لانه يعلم ان الفائدة التي تنشأ عنها لا تعدل التعب الذي يبذل في تأليفها وطبعها والجمهور لا يفهم منها سوى قصتها . واذا قيل ان حافظ افندي ابراهيم الشاعر المشهور قد عرب جزءاً صغيراً من رواية الميزرايل فجنى منه على ما قال الف جنيه (٥٠٠٠ ريال) فالجواب ان ما جناه العرب من هذه الرواية لم يكن ثمناً للرواية ولا جزءاً تعب فيها ولكنه كان تنشيطاً له من بعض سراة المصرين الذين دفع بعضهم ثمن النسخة الواحدة ٥٠ جنيهاً (٢٠٠ ريال)

وقد يظن بعضهم ان الروايات الموضوعة تعريباً تسلم من تلك المآخذ التي تقع في الروايات الموضوعة تأليفاً . لان شروط الرواية مستوفاة في الروايات الافرنجية الكبرى وما على العرب الا ان ينحو نحوها وينسج بردها العربية . والحقيقة ان بعض الروايات الموضوعة تعريباً قد تجد فيها من التشويه وفساد الوضع والخرق في الرأي ما لا تجد مثله احياناً في الروايات الموضوعة تأليفاً . وسبب ذلك ان العرب يتناول قلمه ويغير على تلك الرواية فيتصرف فيها حذفاً واضافة فيقطع سلسلة اخلاقها البسيطة و يشوه طبائع اشخاصها وينقص فيها ويزيد عليها من الحوادث ما لوراء مؤلفها لقطع اذنه وجده انفه ورض ساقيه وبقر بطنه تشويهاً له وتمثيلاً به كما شوه روايته ومثلاً بها . وما زلنا نذكر مباحثات كثيرين ممن شهدوا تمثيل رواية (ابن الشعب) في مصر وقولهم في الجرائد وغير الجرائد انهم لم يفهموا اغراض هذه الرواية ومرامي مؤلفها . وحقهم ان يقولوا ذلك لان الذي ينظر في هذا الفن ولا يكون من اهله لا يدرك منه سوى سياق القصة وتفوته اغراضها الحقيقية التي بنيت الرواية عليها وكانت سبباً في انشائها

وقبل بيان اغراض المؤلف في هذه الرواية ناتي على بيان الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الحقيقية اي عوالم خيالية تنطبق صفاتها

واخلاقتها على العوالم الحقيقية انطباقاً كلياً كانت صورتها لها وكان اشخاصها اشخاصها مع زيادة في الصبغة الايديالستية فيها ليكون غرضها رفع النفوس بدل الخطاطها

١ قوة الاختراع - اولى تلك الصفات قوة الاختراع والمراد بها ان تكون مخيلة الكاتب قادرة على اختراع حوادث واخبار تجعل في الرواية فكاهة ولذة . وبهذه القوة تنشأ في الرواية المشاهد والمواقف الكبرى التي تحثك فيها العواطف والاميال والمبادي، احثكاً شديداً تستأسر لب القارئ . وكان ديماس راس المبرزين في هذه القوة . الا أنه يجب ان لا تتجاوز هذه القوة حد المعقول المقبول والا تعدت من سقط المتاع كروايات بونسون دي ترايل . ولما سئل تولستوي منذ مدة عن رايه في رواية غوركي (الطبقة السفلى) التي جعلت له بين كتاب اوروبا منزلة سامية اجاب انها جيدة ولكن بنقصها قوة الاختراع . ولكن كثيرين يقولون عن روايات تولستوي نفسه مثل هذا القول لانها انما تمتاز بمبادئها وآرائها وصبغتها النظرية لا باختراع حوادثها

٢ قوة الحركة - والقوة الثانية (قوة الحركة) فان تلك الحوادث التي يجيد المؤلف في اختراعها اذا لم يجعلها (متحركة) سئم قارئها ومل قراءتها . والحركة كانت مزية ديماس الكبرى . فانك تعرف تاريخ اشخاص روايته واخلاقهم ومزايهم وماضيهم وحاضرهم مما يقوله غيرهم عنهم في الرواية لا مما يقوله المؤلف نفسه . وكل من قرأ رواية لا يجهل انه يفضل ان يقرأ مباحثات اشخاصها على قراءة تعليقات مؤلفها . والاجادة هنا هي في جعل « حوادث » الرواية منبثة عن اخلاق اشخاصها . وكمن مرة قرأنا فصولاً لكبار نقاد الروايات الفرنسية يقولون فيها عن فصل في احدي الروايات ان حوادثه غاية في حسن الاختراع ولكنه « جامد » تنقصه الحركة . وهم يعتبرونها في مقدمة شروط الروايات الجيدة

٣ وحدة السياق وتنوع الموضوع - والشرط الثالث في تأليف الرواية « وحدة السياق وتنوع الموضوع » والمراد بوحدة السياق رسم طريق للرواية بتدريج في اولها وتنتهي في آخرها دون ان تخرج الرواية عنها في اثناء ثقلباتها . فكأنها سلك يده رجل بين طرق ضيقة وشوارع واسعة فيوغل فيها ولكن السلك في يده وهو يعرف من اين ابتداء والى اين ينتهي . والمراد « بتنوع الموضوع » جعل مواضيع الرواية التي تنفرع من ذلك السياق متنوعة متفرعة لا جنتاب ملل القارئ . اولاً واستيفاء البحث في اخلاق اشخاص الرواية ثانياً . ومن اقوال الفلاسفة ان الطبيعة واحدة من حيث مادتها ونواميسها ولكنها متنوعة من حيث صورها واشكالها . وهم يسمون هذا باسم ورد ذكره في الجزء الاول لهذا العام وهو « التنوع

في الوحدة « . وما يقال في الطبيعة يقال في الرواية لان « الوحدة المقرونة بالتنوع » اساس قوة كل شيء وجماله في العالم . وبدونها تكون الحياة مضطربة مضجرة

٤ قوة البسيكولوجيا والسيكولوجيا - يصح ان يقال ان هذه القوة اهم القوات الضرورية للرواية . ولما كانت مواضع الرواية تشمل جميع الحوادث والحالات التي تطرأ على اشخاصها وعلى الوسط الذي يعيشون فيه كانت الرواية محتاجة الى أكثر اصناف العلوم . فهي تحتاج الى علم الطبيعة لكي تبنى آراؤها ومبادئها واخلاق اشخاصها على دعامة علمية اي على النواميس الطبيعية والا كانت نسج اوهاام وخرافات . وتحتاج الى علم تقويم البلدان « الجغرافيا » لمعرفة البلاد التي يكتب عنها وطبائع اهلها وهوائها . وتحتاج الى علم التاريخ خصوصاً اذا كانت تاريخية . وقد تحتاج الى سائر العلوم اذا كان لمواضيعها اتصال بها . ولكنها اذا احتاجت الى جميع هذه العلوم احياناً وامكنها الاستغناء عنها جميعها احياناً فهناك علمان لا يمكنها ان تستغني عنها اصلاً وهما علم البسيكولوجيا وعلم السيولوجيا

علم البسيكولوجيا او « علم النفس والاخلاق » اول شيء يجب على الروائي الاطلاع عليه . وهو قسمان مصنوع ومطبوع اي اكتسابي وغريزي . فالبسيكولوجيا الاكتسابية يستفيد منها الكاتب من مصدرين . الاول درس كتب البسيكولوجيا والثاني مراقبة الطبيعة والبشر للملاحظة اخلاقهم واحوالهم في جميع اطوارهم . وقد كان مولير الروائي المشهور يصرف مدة من وقته كل يوم في الجلوس في دكان حلاق حيث يحتشد الناس عادة من طبقات مختلفة وهناك يراقب اخلاقهم ويسمع احاديثهم . والبسيكولوجيا الغريزية هي قوة غريزية تكون في نفس الدارس يقدر بها على استنباط مكنونات النفوس واستنتاج اخلاقها وتصوير حالاتها دون ان تدري هي بها . وهي هبة من الطبيعة لتلك النفس وان كان بعض علماء الاخلاق يقول ان الدرس والاخبار قد يؤديان اليها : قال بوفون العالم الطبيعي الفرنسي ان نبوغ اعظم الرجال ناشئ عن تعبهم وصبرهم على الدرس (١) قلنا هذا قول صحيح في العلوم الطبيعية التي لا يستلزم الاكتشاف والاختراع فيها قوة نفسية بل قوة عقلية . واقرب شاهد على ذلك باستور وسبنسر وقد عد الفيلسوف نيتش نفس سبنسر في جملة النفوس الاعتيادية (٢) . ولكن علم النفس والاخلاق وعلم الادب والفنون الجميلة لا تقاس بتلك

1 Le Genie C'est la patience

2 Mediocre اي متوسط بين الكبير والصغير

العلوم . فان ملتن وشكسبير وهيغو ورنان وجوت ووايبر لولا ان الطبيعة خصتهم بنفوس كبيرة جميلة راقية لما قدروا ان يبرزوا شيئاً مما ابرزوه في تأليفهم من آيات الجمال والكمال ولو قطعوا اعمارهم درساً . وهل يصير غير الشاعر شاعراً حقيقياً بمجرد الدرس وقرض الشعر

فالبسيكولوجيا الاكتسابية والغريزية اهم ضروريات الرواية لانها تصون المؤلف من الوقوع في الاغلاط الفاضحة بشأن اخلاق الاشخاص الذين يتكلم عنهم وتمكّنه من تصوير اخلاق بشرية حقيقية منطقية على اخلاق البشر في الدنيا بـسيكولوجياً . وكـم من مرة تصفنا بعض الروايات التي تنشر بالعربية حتى اهمها واشهرها فراءنا الكاتب بصور اخلاق اشخاصه في اول الرواية تصويراً لا ينطبق على اخلاقهم في آخرها من الجهة البسيكولوجية . فانه مثلاً يجعل مزاج الشخص في البدء عصبياً ثم تراه في الخاتمة يجعله يسلك مسلك ذي مزاج دموي محض . واغرب من هذا انك تراه يجمع في نفس اشخاصه صفات متقابلة متناقضة نثراً البسيكولوجيا منها . واحياناً تراه يجعل (شخصه) يوجب اجوبة لو اطلع عليها اصغر كاتب لم يبادئ البسيكولوجيا بعد اطلاعه على الاخلاق التي صورها المؤلف له لقال (هذا تخريف لا تأليف) والحوادث المستخرجة من تلك الاخلاق فيما تكون لازمة عنها خارجة منها بحكم البسيكولوجيا وانما هي مجذوبة جذباً لتكون نتيجة لها وما هي بنيتة لها . وهذه العيوب الفاضحة لا تظهر في الشرق لانها لا تظهر الا لعين الناقد البصير . ولذلك يعجب بعض القراء السذج بتلك الروايات . ولو نشرت في الغرب حيث الجمهور يميز بين الفاسد والصحيح لكانت في جملة الروايات الضعيفة التي لا يلتفت اليها احد من افراد الجمهور الراقي وما قلناه في البسيكولوجيا نقوله في السيولوجيا اي علم الاجتماع البشري . وهذا العلم ضروري لمؤلف الرواية لسببين الاول ان جميع الروايات المهمة في هذا العصر اصبح غرضها (اجتماعياً) واذا كان الفيلسوف اوغوست كونت واضع الفلسفة الحسية او الوضعية قد اثبت ببراءة مشهورة قبل تليذه سينسر ان جميع العلوم من اكبرها الى اصغرها تنتهي الى السيولوجيا وان السيولوجيا هي غرض تلك العلوم فاحر بالروايات ان يكون غرضها السيولوجيا ايضاً اي البحث في حالات المجتمع البشري لتربيته وانماء قوائمه النافعة وافناء قوائمه المضرة . والروايات بعد الصحف او قبلها من اهم ذرائع هذه الترقية . بل هي في الشرق اشد تأثيراً من الصحف في هذا الشأن لان الوفا من عامة القراء لا يقرأون الجرائد ولكنهم يقرأون الروايات . فهنا للرواية وظيفة اجتماعية عالياً دونها وظيفة جميع الصحف والمدارس والكليات . لانها المدرسة الاولى للشعب الساذج الجاهل . واننا نشفق من

صميم قلبنا على هذا الشعب حين نرى السم الزعاف المدسوس في بعض الروايات العربية التي بقراءها

٥ درس هذا الفن - كما ان العالم لا يصير عالماً الا بالدرس والبحث والصانع لا يصير صانعاً الا بالكباب على صناعته فكذلك الروائي لا يصير راوياً الا بدرسه .
ولكن ليس للروايات مدرسة تعلم فيها اصول هذا الفن وانما مدرسته امران . الاول (مطالعة روايات اكابر الموءلفين) والثاني (مطالعة كتابات مشاهير نقادي الروايات)

اما الامر الاول وهو مطالعة روايات اكابر الموءلفين فاظهر دليل على انه المدرسة الحقيقية لموءلفي الروايات ما كتبه اسكندر ديماس الكبير عن نفسه . فقد قال ما خلاصته انه لما عقد النية في شبابه على ان يكون موءلف روايات اخذ يطالع جميع الروايات المشهورة لا كابر الموءلفين فرنسويين وغير فرنسويين . فصرف وقتاً طويلاً في درسها والتأمل فيها وتدبر اغراضها ومراميها . فاتي عليها كلها حتى انطبعت في ذهنه اساليبها وطرقها واخطلت في فكره وقائعها ومذاهبها . وبعد ذلك شرع في الكتابة . فكتب الرواية الاولى واحرقها لعدم رضائه عنها . ثم كتب الثانية والثالثة واحرقهما ايضاً . ولما كتب الرابعة دفعها للتمثيل فكان لما دوي في باريز . وقد حضرها احد امراء العائلة المالكة وكان ديماس مستخدماً عنده فلما ذكر اسم الموءلف للجمهور نهض الامير من مجلسه ورفع قبعته لمستخدمه ديماس اكراماً وتنشيطاً له

فالروايات المشهورة الجيدة هي خير مدرسة لموءلف الروايات لانها خلاصة الاختبار والعلم في هذا الفن . ولكن هذه المطالعة وحدها لا تكفي الراغب في التأليف فيه اذا لم يكتب على الامر الثاني (درس اقوال نقادي الروايات) اكبابه عليها

من تصفح الجرائد الفرنسية الكبرى وغيرها وجد فيها فصلاً مخصوصاً بنشر في كل يوم اثنين في ذيل الجريدة لاحد النقدة المشهورين وموضوعه نقد الروايات التي تمثل في خلال الاسبوع . ورب احد هؤلاء النقدة تدفع له الجريدة اجرة للمقالات الاربع في الشهر راتباً يعدل راتب وزير . وقد كان سارسي كبير النقادين في القرن التاسع عشر بعد سنت بوف يكتب في جريدة الطان وكان الممثلون والمؤلفون اذا رأوا في وجهه وهو في لوجه دلائل الاستياء وعدم الرضى ترتعد فرائصهم خوفاً لانه كان على رايه المعول . فدرس كتابات هؤلاء النقدة وغيرهم من نقدة اوربا من اهم واجبات كاتب الروايات . لانه يستفيد من كتاباتهم نتيجة اخبارهم هذا الفن واخبار مشاهير النقدة الذين تقدموهم فيه منذ نشأته .

وقد كنا نقراء نقد سارسي في الطان بلذة كبرى فلما توفي اصبحنا نقراء نقد المسيو اميل فاكه في جريدة الديبا وهو من رجال الاكاذبي واشهر النقدة الفرنسيين اليوم . على ان كتب النقد الروائي كثيرة في اللغة الفرنسية لمن يطلبها . وهي اهم واصح من الكتب الغير الفرنسية لان الفرنسيين ما زالوا متفردين في هذا الفن في اوروبا كلها

٦ عاطفة الجمال - والشرط السادس والاخير من شروط وضع الروايات التزام (عاطفة الجمال) فيها لان تأثيرها وحلاوتها متوقفان على ذلك . ويدخل في هذا امران . الاول (جمال موضوعها) والثاني (جمال سبكها) اما جمال موضوعها فمتوقف على الاجادة في الصفات الخمس التي تقدم بسطها . واما جمال سبكها فالمراد به تسجيها بلفظ عذب ومعنى طلي وروح جلي فيجد القاري حبن مطالعتها من الحلاوة والعذوبة ما يستاء سرليه . واذا كان الجفاف والجمود في الانشاء مما يعتفر في المباحث العلمية والتاريخية لان الغرض منها تقرير الحقائق سواء كان لباسها من نضار او كان عليها اطار فان ذلك مما لا يقبل في الروايات اصلاً لان العمدة في الروايات انما هي على التأثير في نفس القاري لجذبه الى مبادئها وشرح صدره بحلاوتها . وهذا الجذب والتأثير لا يتم الا بعاطفة الجمال .

هذا ما رأينا بسطه في هذا الفصل لعل فيه فائدة . وفي الفصل التالي سننجز ما وعدنا به من شرح مغزى رواية ابن الشعب ومرامياها

✽ رجاء الى المشتركين ✽ نرجو من كل من يرسل الجامعة ان يجعل عنوانه في كتابه بخط واضح باللغة العربية والانكليزية معاً اجتناباً للخطاء وتسهيلاً للعمل وله الفضل